ABES13

[**هدَايَاتُ القُرْآن**](https://al-badr.net/detail/PgWKwzMH8BVD)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. أما بعد:

فالحديث عن «هدايات القرآن» هو حديث واسع؛ فإن الله عز وجل أنزل هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، أنزله جل وعلا شفاءً للصدور، وهدايةً للعباد، وصلاحًا للنفوس، وزكاءً للقلوب، أنزله تبارك وتعالى يهدي عباده إلى الطريق الأقوم والسبيل الأرشد بما يتحقق فيه لهم مصالح دينهم ودنياهم، وسعادتهم في أولاهم وأخراهم؛ فهو كتابٌ عظيم كله هداية، من عباد الله سبحانه وتعالى من يكرمه الله سبحانه وتعالى بالاهتداء بهدايات القرآن.

يقول الله عز وجل في سورة الإسراء: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)}؛ فوصف الله جل وعلا القرآن بأنه يهدي للتي هي أقوم؛ قيل للطريق الأقوم، وقيل للكلمة، ذُكر هذا وهذا في معنى الآية، للطريق الأقوم: أي بما جاء في هذا القرآن من هدايةٍ لهذا الدين العظيم المشتمل على أصح العقائد وأحسن الأعمال وأزكى الأخلاق. وقيل الكلمة: أي «لا إله إلا الله»، وهذا تفسير للآية بأعظم أفرادها وأجلِّه، لأن دين الإسلام قيامه على «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد.

قال الله تعالى {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[الأنعام:71-72] هذه كلها هدايات لكتاب الله عز وجل، أجلُّها أن نسلم لرب العالمين. بأن نوحده جل في علاه وأن نخلص الدين له وأن نفرده سبحانه وتعالى بالعبادة.

والله عز وجل وصف القرآن في مواضع أنه هدى للمتقين ووصفه جل وعلا في مواضع بأنه هدى للناس؛ في بعض المواضع وصفه تبارك وتعالى بأنه هدى للمتقين كما في أول سورة البقرة: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[البقرة:1-2]، ووصفه بأنه هدى للناس كما أيضا جاء في سورة البقرة في قوله سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}[البقرة:185]؛ فالقرآن هدى للناس لأنه جاء مشتملًا على ما فيه هدايتهم وصلاحهم وسعادتهم وفلاحهم في دنياهم وأخراهم، وهدى للمتقين باعتبار أن المتقين هم الذين اهتدوا بهداية القرآن وانتفعوا به. ولهذا القرآن يوصف بأنه هدى وصفًا عامًا يتناول الناس كلهم، ويوصف بالهدى وصفًا خاصًا، يتناول المتقين من عباد الله.

عموم الناس القرآن هدًى لهم أي بالقوة، والمتقين القرآن هدى لهم الانتفاع والتأثير؛ انتفعوا به وتأثروا بهداياته. أما عموم الناس فالقرآن جاء يحمل الهدى والنور، لكن لم ينتفع بهدايات القرآن إلا من أكرمه الله سبحانه وتعالى بالإقبال على هذا القرآن ليهتدي بهداياته. ولهذا جاء عن قتادة رحمه الله في معنى قول الله عز وجل {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} قال: «إن القرآن فيه ذكر الداء والدواء؛ أما الداء فالذنوب والخطايا، وأما الدواء فالاستغفار».

وعليه فإن الذي يهتدي بالقرآن هو الذي يتعرض لنفحات القرآن، يتعرض لهداياته يُقبِل عليها لا أن يكون معرضا، لأنه إذا كان معرضًا لا ينتفع، {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}[المؤمنون:66-68] أي لو أنهم تدبروا القول وتأملوا في هدايات القرآن العظيمة لم يكن منهم نكوص على الأعقاب، فهدايات القرآن الذي ينتفع بها هو الذي يقبل بقلبه، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[ق:37] .

وقد أمرنا الله عز وجل بتدبر القرآن وعقل معانيه وفهم هداياته ودلالاته ليتحقق لنا بذلك الاهتداء به، لأن الاهتداء هدايات القرآن فرع عن فهم ودلالاته، قال الله عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[النساء:82]، وقال جل وعلا : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[ص:29] ، وقال جل وعلا: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}[المؤمنون:68] ، فالله عز وجل أنزل هذا القرآن الكريم لتُتدبر آياته وتُعقل معانيه وتُفهم دلالاته؛ لينتفع حينئذ العبد بهدايات القرآن الكريم.

وقول الله عز وجل في الآية المتقدمة {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}؛ «التي هي أقوم» أي الطريق أو الكلمة كما تقدم وهذا يتناول دين الله عز وجل كله، وأعظم ما يكون في ذلك الاعتقاد الصحيح المستمد من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وعليه فإن أعظم هدايات القرآن هدايته العباد إلى توحيد من خلقهم وإفراده سبحانه وتعالى وحده بالعبادة وإخلاص الدين له.

وأعظم آية في القرآن مشتملة على هداياته: آية الكرسي، وهذه الهداية التي في آية الكرسي هي هداية للتوحيد، ولما أُخلصت آية الكرسي في الهداية إلى التوحيد كانت أعظم آية في كتاب الله لعِظم ما أخلصت لأجله، فهي أخلصت لبيان توحيد الله عز وجل، صدرها قول الله عز وجل: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} هذا هو التوحيد، ثم ذُكرت براهين التوحيد ودلائله، فذُكر فيها من براهين التوحيد ما يزيد على العشرة براهين، وذُكر فيها من أسماء الله الحسنى الدالة على عظمته وكماله ووجوب توحيده خمسة أسماء، وذُكر فيها من صفات الله العظيمة الدالة على كماله وجلاله وعظمته سبحانه ما يزيد على العشرين صفة .

ولهذا -كما قال أهل العلم- إن آية الكرسي اجتمع فيها من هدايات التوحيد وبراهينه ودلائله ما لم يجتمع في آية أخرى في كتاب الله، والذي اجتمع في هذه الآية جاء مفرقًا في آيات كثيرة ، لكن هذه الآية وحدها جمعت جمعًا لم يكن له نظير في آيات القرآن الأخرى، ولهذا كانت أعظم آية في كتاب الله كما في صحيح مسلم من حديث أبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((يا أبي أي آية معك من كتاب الله أعظم؟)) قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: ((يا أبي أي آية معك من كتاب الله أعظم؟)) قلت آية الكرسي، قال: فضرب بيده على صدري وقال ((ليهنك العلم يا أبا المنذر)) أي هنيئا لك هذا العلم وهذا الفهم بهدايات القرآن العظيم.

ولأجل هذا ذهب بعض أهل العلم كما تقدم إلى أن المراد بقوله {يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} قالوا الكلمة أي كلمة التوحيد؛ باعتبارها أعظم شيء يهدي إليه القرآن ويرشد إليه، فأعظم ما هدى إليه القرآن وتكررت فيه البراهين عليه وذكر الدلائل هو التوحيد الذي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه، وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)}، وفي الآية التي قبلها قال: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)} ، أمر بالذكرى ثم ذكر أعظم ما يذكَّر به وهو التوحيد؛ فالهداية إلى التوحيد هي أعظم الهدايات وأجلها.

ومن يقرأ القرآن ويتأمل هداياته يدرك ذلك؛ يدرك أن أعظم شيء يهدي إليه القرآن وأجله وأرفعه شأنا هو التوحيد؛ توحيد الله سبحانه وتعالى. وتأمل كيف أدرك هذا المعنى النفر من الجن الذين صرفهم الله عز وجل ويسَّر لهم الاستماع إلى القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام يتلوه، كيف أنهم فهموا وعقلوا من خلال سماعهم لآيات القرآن أن القرآن يهدي إلى الرشد وأعظم ذلك توحيد الله عز وجل؛ {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}[الجن:1-2]، في آية اخرى قال: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(30) يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}[الأحقاف:29-31] ، من مرة واحدة سمعوا القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام يتلوه أدركوا ذلك وعرفوا عِظم شأن القرآن في هداية القلوب وصلاح العباد ودلالتهم للتي هي أقوم، قالوا {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}، قالوا {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ}، أدركوا ذلك، وفور سماعهم للقرآن وتأثرهم به رجعوا على إثر ذلك منذرين إلى قومهم، أي منذرين من الشرك واللجوء الى غير الله، رجعوا دعاة لقومهم الى توحيد الله وأعلنوا ذلك {وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}، عرفوا أن القرآن أنذر غاية الإنذار وحذر غاية التحذير من الشرك بالله عز وجل، وعظَّموا الله عز وجل {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}[الجن:3] ، عرفوا ذلك من مرة واحدة، مرة واحدة سمعوا فيها القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام يتلوه فأثر فيهم هذا للتأثير.

ومن يقرأ القصص في القديم والحديث في تأثير هدايات القرآن على القلوب لمن يستمع يحسن الاستماع للقرآن يرى عجبًا في تأثير هدايات القرآن للقلوب؛ جبير ابن مطعم يذكر قصة إسلامه أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ سورة الطور حتى بلغ قول الله عز وجل: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} قال: «كاد قلبي يطير»، فهذه هداية القرآن العظمى؛ هدايةٌ لتوحيد الله وإخلاص الدين له وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة.

ومن هدايات القرآن: هدايته العباد إلى الفرائض الدينية والواجبات العظيمة التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده وأمرهم بها؛ من أداءٍ للصلاة وهي أعظم العبادات وأجلها وهي عماد الدين، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله؛ هذه كلها هدايات يهدي إليها كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى : {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[البقرة:2-5]، وقال جل وعلا في أول سورة النمل: {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3)} ، قال جل وعلا في أول سورة لقمان: {الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) }.

فالصلاة من أعظم هدايات القرآن هدى الله عز وجل عباده إلى الصلاة وحثهم عليها وأمرهم بها، أمرهم بإقامتها ولهذا تجد الأمر بإقام الصلاة يتكرر كثيرًا في كتاب الله، وحثهم على المحافظة عليها وأدائها في أوقاتها {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[البقرة:238] ، {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}[النساء:103] حتى في القتال {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ}[النساء:102] ، فالصلاة نور للعباد هدى الله عز وجل عباده إليها في كتابه وأمرهم بها، بل أمرهم بالاستعانة بها على جميع مصالحهم { اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}[البقرة:153] .

والزكاة كذلك وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، وفي غالب ذكر القرآن للصلاة تُذكر معه الزكاة التي هي قرينة الصلاة في كتاب الله، سماها الله عز وجل زكاة: لأن فيها زكاةً للقلوب من الشح وزكاة للأموال وزكاة أيضا للمجتمعات؛ فيها صلاح عظيم للعباد، وهي صدقة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء.

والصيام كذلك من هدايات القرآن {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)} إلى قوله تعالى {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[البقرة:185]، فمن هدايات القرآن: الهداية إلى الصيام وما فيه من تزكية القلوب وتحقيق لتقوى الله عز وجل ومنافع عظيمة جعلها الله في الصيام ينتفع بها العباد.

والحج كذلك؛ من هدايات القرآن أن هداهم للحج، قال عز وجل: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}[البقرة:196] إلى تمامها، ثم قال: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ}[البقرة:197] ، ثم قال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ}[البقرة:198] كما هداكم إلى هذه الاعمال العظيمة الجليلة في كتابه العظيم. ومثلها الآيات التي عن الحج في سورة الحج خُتمت بقوله: {لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ(37)} ما هداكم: أي إليه من هذه الطاعات العظيمة والمناسك الجليلة التي فيها رفعتكم وصلاحكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة.

ومن هداية القرآن للتي هي أقوم: أن نهاهم الله جل وعلا عن كل ما فيه شر وفساد ومضرة عليهم في الدنيا والآخرة؛ ولهذا إذا قرأت في سورة الإسراء عندما قال الله عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} بعدها بآياتٍ قليلة جاء ذكر لنواهي عديدة أمور ينهى الله عز وجل عباده عنها؛ فندرك من خلال هذا السياق أن من هدايات القرآن العظيمة نهي الله عز وجل فيه للعباد عن أمور فيها مضرة عظيمة لهم، ولا ينهى الله عز وجل عباده عن شيء إلا فيه مضرة عظيمة عليهم.

ولهذا تقرأ في آيات الاسراء بعد قوله {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} قال: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)}، ثم قال بعدها: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} ، قال بعدها: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} ، قال بعدها: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} ، قال بعدها: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}، قال بعدها: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، قال بعدها: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ، قال بعدها: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} ، إلى أن ختم ذلك بقوله: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)} ؛ فهذا كله من هداية القرآن.

القرآن فيه نواهي كثيرة ينهى الله عز وجل عباده عنها، إذًا من الاهتداء بهداية القرآن أن يتجنب العبد ما نهاه الله عنه وما حذره منه في كتابه العظيم؛ ولهذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنه يقول: «إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فإنه إما خير تؤمر به أو شر تُنهى عنه»؛ فمن اهتداء العبد بهداية القرآن أن يتجنب كل ما نهى الله عنه ، ويتجنب ذلك خوفا من الله وابتعادًا عما يسخطه سبحانه وتعالى.

ولهذا ربى الله عز وجل عباده في القرآن على تجنب هذه الأمور خوفا من الله واستعدادا للقائه وإدراكا بأنه سبحانه وتعالى سيجازيهم يوم القيامة؛ {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}[النجم:31] ، وهذا أيضا باب عظيم من باب هداية القرآن باب الجزاء والثواب، وهذا فصِّل في القرآن كثيرا، {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[الرحمن:60]، {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[يونس:26]، وفي الاساءة قال: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى}[الروم:10] ، قال جل وعلا: {جَزَاءً وِفَاقًا}[النبأ:26] وهذه هداية عظيمة تؤثر في قلوب المؤمنين تؤثر في من يعقل هدايات القرآن أن يتجنب ما يُسخط الله عز وجل خوفا من الله وإدراكًا منه بأن الله يراه وأنه مطلع عليه وأنه سيحاسبه ويجازيه على أعماله يوم يلقى الله ويقف بين يديه سبحانه وتعالى.

ومن هداية القرآن: هدايته للأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة الرفيعة العظيمة؛ قال الله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم:4] ، فسرت عائشة رضي الله عنها هذه الآية {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} باتصاف النبي عليه الصلاة والسلام بما في القرآن من هدايات، وأتماره بما فيه من أوامر واجتنابه عما فيه من نواهي، وتحليه بالصفات التي دعا الله عز وجل عباده للاتصاف بها، فكان قدوة للعالمين وأسوة لعباد الله أجمعين {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب:21]، فمن هداية الهداية للأخلاق الفاضلة والتربي على الآداب الكاملة {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:199] ، قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}[لقمان:18].

وسورة الحجرات تسمى «سورة الآداب»؛ لما تضمنته من الآداب الكثيرة الفاضلة العظيمة التي يزكو بها العباد وتصلح بها حالهم؛ قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(11) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(12) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}؛ فهدى القرآن إلى أخلاق فاضلة عظيمة رفيعة إذا حققها العباد تحققت لهم الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية بأبهى صورها وأتم حللها. وهذا المعنى الذي في هذه الآيات جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام في حديثٍ عظيم الذي قال فيه: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يظلمه ولا يخذله، التقوى ها هنا)) ويشير الى صدره ثلاث مرات. فمن هدايات القرآن العظيمة ان هدى العباد إلى الأخلاق الكاملة العالية الرفيعة.

ومن هداية القرآن العظيمة: أن ربط العباد في باب التأسي والاقتداء بأشرف الناس وأفضلهم وأجلِّهم وأرفعهم مكانة؛ وهم أنبياء الله ورسله أصفياؤه الذين اجتباهم، { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ}[الحج:75]، فمن هداية القرآن العظيمة أن هدى الله سبحانه وتعالى العباد فيه إلى قصص الأنبياء وأخبارهم وسيرهم وما فيها من العبر العظيمة والعظات البالغة، وإذا وُفق العبد إلى التحلي بهدي الأنبياء والسير على منهاجهم القويم هُدي إلى صراط مستقيم.

وتأمل في سورة الأنعام لما ذكر الله عز وجل فيها عددًا من الأنبياء ،ذكر سبحانه في سياق واحد في آيات متتالية ثمانية عشر نبيا؛ قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) } ثم قال عز وجل بعدها {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام:88] .

فهذه من أعظم هدايات القرآن أن الله عز وجل ربط العباد فيه بالسير الأنبياء، وباب القدوة باب شريف وعظيم جدا في باب الهداية؛ فإذا اتخذ المرء أنبياء الله قدوةً له وأكثر من قراءة سيرهم وقصصهم وأخبارهم استقامت حاله، وعلى الضد من ذلك؛ من أكثر من قراءة سير الهمل والضائعين من الناس تأثر بهم بسيرهم وأعمالهم، ولهذا باب القدوة من أعظم الأبواب في هداية القلوب، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب:21] ، {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}[الممتحنة:4] ، فالأسوة عندما تكون بهؤلاء الصفوة أنبياء الله ورسله فإن المرء يُهدى إلى عالي الرتب في مقام الهداية وبابها العظيم. فهذا من من هدايات القرآن.

من هداية القرآن العظيمة -وتقدمت الاشارة إليه- إصلاح القلوب بالعقائد الصحيحة؛ قد قال الله عز وجل {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}[البقرة:2-3] بالغيب: أي بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسول الله، فيدخل في ذلك أصول الإيمان العظيمة التي ينبني عليها دين الله {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[البقرة:285] ، وقال جل وعلا: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة:177] ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}[النساء:136] .هذه أصول الإيمان التي يقوم عليها دين الله، يقول الله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[المائدة:5] ، قال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ}[التوبة:54] ، فالإيمان يقوم على هذه الأصول، مثل ما قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[إبراهيم:24-25] ، هذا مثل للإيمان ضربه الله سبحانه وتعالى في القرآن، والقرآن فيه آيات كثيرة فيها ضرب الأمثال وخاصة في تعليم التوحيد وبيان العقيدة، في أمثال كثيرة والله يقول: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[العنكبوت:43]

فهذه من هداية القرآن أن أبان للناس المعتقد الصحيح الذي به تزكو قلوبهم وتصلح أعمالهم وتستقيم عبادتهم، بل لا تقبل إلا به؛ {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} بهذا القيد{ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل:97]، قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}[الإسراء:19]، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ}[الأنبياء:94]، قال تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}[طه:112]، فالأعمال لا تزكو ولا تُقبل ولا تكون مشكورةً مرضية عند الله إلا إذا قامت على الإيمان، فهدى الله عز وجل في القرآن العباد إلى الإيمان وأصوله التي هي عقيدة راسخة تكون في قلوب المؤمنين {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}[الحجرات:15] أي: أيقنوا ولم يشكوا.

ولهذا أمور الاعتقاد لابد فيها من اليقين، وسميت عقيدة: لأن المطلوب فيها أن يربط المسلم عليها قلبه؛ تكون ثابتة فيه راسخة، وهي أصول ستة جاءت في آيات كثيرة تقدم الإشارة إلى بعضها: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب ، والنبيين، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتفاصيل هذه الأصول في كتب العقائد، وأئمة السلف عند بسطهم لهذه العقائد يبسطونها بذكر أدلتها من القرآن والسنة؛ ولهذا العقيدة الصحيحة هي العقيدة التي نزل بها وحي الله، لأن العقائد التي عند الناس على نوعين: عقائد نازلة، وعقائد نابتة؛ العقائد النازلة: هي الصحيحة هي التي نزل بها وحي من الله سبحانه وتعالى. والعقائد النابتة: التي اخترعها الناس في الأرض بآرائهم وأهوائهم وعقولهم فلسفاتهم وأفكارهم، والذي ينفع العبد هو المعتقد الذي نزل به وحي الله العقيدة الصحيحة؛ وهي في القرآن.

ومن هدايات القرآن: أن الله عز وجل دعا فيه العباد إلى التلقي والأخذ لكل ما يأتي عن الرسول عليه الصلاة والسلام، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الحشر:7] . ولهذا الذي لا يعمل بالسنة ولا يأخذ بها لم يهتدِ بهداية القرآن وليس من أهل القرآن وإن زعم، فلا يكون مهتديًا بهدي القرآن حتى يأخذ بسنة النبي عليه الصلاة والسلام الثابتة عنه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وهدايات القرآن بابها واسع، أحد أهل العلم أخذ يتكلم عن هذه الآية {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} في كتابٍ له أسماه «الأنوار الساطعات من الآيات الجامعات» يأتي بآيات جامعة ويذكر تحتها ما تشتمل عليه من فوائد، لمؤلفه الشيخ عبد العزيز سلمان رحمه الله، من ضمن الآيات الجامعة التي أوردها في الكتاب هذه الآية: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وذكر تحتها ألفين وثمان مئة فائدة ، ألفين وثمان مئة فائدة كلها مصدَّرة بقوله «ومن هدايات القرآن، ومن هدايات القرآن، ومن هدايات القرآن». فالقرآن من أوله لآخره بما اشتمل عليه من أوامر وما هدى إليه من أخبار وما تضمنه من نواهي وأمور حذَّر الله سبحانه وتعالى عباده منها هذا كله من هدايات القرآن.

ولعلي أختم بهداية عظيمة من هدايات القرآن وقبلها أيضا أشير إلى أن الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كتابه تفسير أيضا أطال الكلام تحت هذه الآية {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} أطال إطالة واسعة أفرد كلامه عن هذه الآية لسعة الكلام الذي فصَّله في هدايات القرآن. فأختم بفائدة من هدايات القرآن وهو أن الله عز وجل حث فيه على الدعاء وأمرهم به ورغَّبهم فيه وبيَّن أنه يجيب دعوة من دعاه ولا يرد عبدًا ناداه، {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}[إبراهيم:39]، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[البقرة:186]، {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر:60] .

وذكر في آيات كثيرة دعوات الأنبياء والأدعية التي دعوا الله بها وإجابة الله سبحانه وتعالى لهم في آيات كثيرة جدا ، فعلى العبد أن يعتني الدعاء خاصة أعظم الدعاء وأجله، فإن أعظم الدعاء وأجله هو سؤال الله الهداية، ولهذا افترض الله علينا في اليوم والليلة سبع عشرة مرة أن ندعوه {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} في فاتحة الكتاب التي لا صلاة لمن لم يقرأ بها، فيقرأ في اليوم والليلة فرضًا لازمًا سبع عشرة مرة {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ، وهذا سؤال الله الهداية إلى صراطه المستقيم، فيعتني المسلم بالدعاء ويُكثر من سؤال الله سبحانه وتعالى الهداية وأن يهديه صراطه المستقيم ، وكل مرة يقرأ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} يستذكر أن هذا دعاء يدعو الله سبحانه وتعالى به، بل هو أعظم الدعاء وأجله وأنفعه.

ونسأل الله الكريم أن يهدينا أجمعين إليه صراطًا مستقيما، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم اهدنا وسدِّدنا، اللهم أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، إليك اواهين منيبين، لك مخبتين لك مطيعين. اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا واهد قلوبنا، وسدد السنتنا واسلل سخيمة صدورنا. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.